يحاوطها القدر

سارة عطا

obeikan.com

الكاتبة في سطور

من مواليد عام ١٩٩٢ في ٣ فبراير.

خريجة كلية الآداب جامعة بني سويف.

أول كتاباتي صدرت عام ٢٠١٦ هوكتاب "حوارمع النفس" من إصدار دار الشهد للنشر والتوزيع.

وقد شاركت في مجموعة قصصية مكون من مجموعة من المؤلفين هو كتاب "رؤى حالمة" صدر عن دار بنت الزيات للنشر

وقد كانت مشاركتي بقصة قصيرة بعنوان "فتاة غريبة".

للتواصل معي على الحساب الخاص بي على موقع التواصل الاجتماعي(فيس بوك): Sara.atta93@yahoo.com

يُحاوطها القدر

لا زلتي على رأيك لم يتغير وتتنازلي عن ما في رأسك وتقرري ترك أباكِ. وتأتي لتعيشي معي؟ لا تقلقي بشأن زوجي فهو لا يتضجر بل قد يرحب بالأمر هو لطيف جدًا سوف يسعد بحضورك وبالنسبة لأمر والدك أنا سوف أكلم لكِ خادمة وأعطيها أجر مجزي لتكون جليسة له ترعاه وتحفظ مواعيد علاجه التي لاتنتهي طوال اليوم ولابد أن تعلمي يا دنيا أنني لم أترك أباكِ وأقرر الانفصال عنه إلا بعد ما نفد صبري من رعايته لفتره طويلة، وها أنتِ بنفسك اخترتي أن تخوضي تلك المغامرة مع مرضه وأنا أعلم أنه سوف يأتي عليكِ يوم وتكلِّي من عبء المسئولية الثقيلة فوق كاهلك وهذا لم يكن لتقصير منكِ نحن بشر ولنا قدرة تحمل.

لم أُطل عليكِ أكثر من اللازم وعمومًا أنا بيتي مفتوح لكِ في أي وقت، دُنيا واضعه سماعه الهاتف على أذنيها فقط للسماع وحنجرتها لم تُنصفها في إيصال صوتها فتتوسطها غصة مانعة الصوت من الخروج فكلماتها تقع على أذن ابنتها كرصاصات مخترقة تشعر البنت وكأنها تُجري الاتصال لتقذفها بها وتنهي الأم المكالمه بقولها أتمنى أن يتغير رأيك في المكالمة القادمة لأني أُحبك، وأتمنى لكِ أن تعيشي حياتك مثل باقي الفتيات اللاتي من سنك أتركِ في رعاية الله.

يغزو الشحوب وجهها بسبب تلك الكلمات المنزوع منها الرحمة التي نُزِعت من قلب الأم على زوجها وابنتها، سرعان ما يتبدل حال دُنيا بمُناداة والدها لها وإقبالها عليه لتلبية نداءه بالنظر في عينيه التي تملأها اللهفة التي تُشعرها بأنها الأم الحنونة له وإن كانت هي حقًا الأم الحنونة والزوجة الحنونة والابنة الحنونة التي

عوضه الله بها، سبحان من قذف الرحمة في قلب تلك الفتاة لترعى هذا الأب المريض وسبحان من نزع الرحمة من قلب هذه الزوجة لتترك زوجها في حالته هذه وتيأس منه وتترك ابنتها أيضًا في هذا السن لتتزوج من شاب في سن ابنتها، أم ولا تحمل خواص الأمومة وابنتها لم تكن جربت الأمومة فعليًّا ولكنها تحمل خواص الأمومة، فالأمومة شعور وإحساس وليست تكاليف، لذلك يوجد من يتجرد من تكاليفه ويوجد من يُكلف نفسه بسبب إحساسه وشعوره الحي داخله.

فتاة حنونة جميلة الوجه نضرة جميلة الروح ساكنة وديعة، أنوثتها ترفع من مستوى جمالها إلى مستوى لا يُوصف بيد أنها تظهر كالجبل الشامخ ويبطن عقلها بقدر من الدهاء وتخرج الكلمات من ثغرها كالعطر من الفواحة، لها أصدقاء منذ الدراسة كثيرون ولكن منذ مرض أباها انقطعت عن التواصل معهم إلا أصدقائها المقربين، يأتون إليها لزيارتها من حين لآخر ولكن بعد علمهم بانفصال والدتها وإلقاء مسؤلية رعاية أبيها عليها وحدها فقرروا الذهاب إليها يوميًا، وخصصوا لها وقت ليقضوا ساعة معها أملًا منهم في تخفيف عبء المسؤلية عليها وتغيير الجو النفسي لها.

فهي أصبحت جليسة المنزل لا تغادره إلا عند خروجها فور انتهاء علاج أبيها لشراء غيره وكل بداية شهر لتتقاض معاش أبيها الذي يعيشان عليه، وغير ذلك لا تود مغادرة المنزل قلقًا على أبيها الذي أتقنت رعايته كالأم التي قذف الله فيها الرحمة لرعاية ولدها الصغير فبثقل مقدار تلك الرحمة التي وضعها الله فيها أسقطت كل الرغبات التي تملء كيان أي فتاة في سنها وهو الاهتمام بالتنزه والخروج والمقابلات جردت نفسها من كل هذا حتى الزواج رفضته لترعى ذلك

الأب المريض الذي منحه الله بجانب مرضه تلك الفتاة الرحيمة، في نهاية كل نهار بعد أن تُنهي كل طلباته وتتفرغ للجلوس معه يطلب منها الخروج لزيارة أصدقائها ويُصر عليها ويُطمئنها عليه.

سرعان ما ترد عليه لا تشغل بالك بخروجي أنا أود أن أكون بجانبك فلو خرجت من البيت لن أستمتع بسبب قلقي عليك وأنا لست حبيسة كما تعتقد فمن الذين يأتون إلينا كل يوم ويُزعجوننا بأصواتهم العالية إنهم صديقاتي وأنا أستمتع بحضورهم وبوجودك أيضًا بالغرفة المقابلة لغرفتي إذا ناديت وجدتني قبل أن تُغلق فمك، ينظُر لها نظرة رضى وهو يدعو لها الله أن يرضى عنها وأن يرزُقها الزوج الصالح الذي يسُر قلبها، وإن كان في قرارة نفسه لا يريد تحقيق الدعوة الثانية إلا بعد مماته، فهو مُتشبث بها كالطفل الذي يخشى على ضياع أمه منه.

قطع حوارهما صوت الجرس فقد حضر أصدقائها الثلاث أقبلت على الباب تفتحه أذِنت لهم بالدخول، إذا بهم يُسلمون على أبيها ثم يستأذنون واحدة تلو الأخرى، ليدخلوا غرفتها التي يتوسط جانبها الأيمن مكتب صغير مُزدحم سطحه بالكتب الأدبية أكثرها للدكتور مصطفى محمود خلفه كرسي من الطراز القديم، يُقابله على الوجه الثاني من الغرفة سرير لا يسع أكثر من شخص، يتوسط حائطه نافذة صغيرة تستخدمه لإضائة الغرفة بعد استيقاظها مباشرة وعند رحيل الشمس الوقت الذي تعشقه وتنظر للسماء فيه في لهفه تأملية، وعلى الوجه الثالث دولاب لملابسها يُقابله على الوجه الرابع للغرفة مرايا تتوسط الحجرة على الأرض سجادة بسيطة، فهي غرفة بسيطة يسودها الهدوء وخفة الروح فليس بالبعيد أن يطغى جمال روحها على المكان لذلك تتنعم صديقاتها بالجلوس فيها.

يبدأ الحوار فيتبادلن أطرافه بينهن كل واحدة تسأل الأخرى عن أخبارها تحكين ما أضحكهن وما عكر صفوهن في اليوم السابق وهي تواسي من تحكي فيهن عن شيء عكر صفو يومها وتفرح لمن حدث له شيء يسعدها وتسمع لهم باكتراث تام وما تلفظ لهم عن نفسها بشيء إلا بما يُضحكهُن، تمتلك طريقة شيقة في الحوار تجعل الحوار خصب طوال الوقت، لا يمل من يُجالسها ولكنه لم يُطيل عليها لمعرفته بمدى حرصها على وقتها لأبيها الذي ترعاه فبمجرد مجيء الساعة التاسعة قرر أصدقائها المُغادرة تاركين قُبلاتهم على وجنتيها، أثناء خروجهم من غُرفتها لم تسعها روحها في أن توصلهم لباب الشقه عشمًا فيهم بمعرفتهم بالبيت وسرعان ما تُقبل على أبيها مُتلهفه للاطمئنان عليه..

وما إن يصلوا إلى بيوتهن وتبدأ كل واحدة منهم على عادة الفتيات في استرجاع الحديث الذي تم أثناء الزيارة فبمجرد الاستذكار ينتابهم الشعور بالندم على ما صدر من حديثهم لها أثناء الزيارة، فكيف يذهبون إليها رغبه منهم في إثارة جو نفسي جديد وتخفيف عبء مسؤلية مرض أبيها عنها ووحدتها معه بلا أم وأخوة وبعد جلستهم يكتشفون غير ذلك أنهم هم من شكوا من همومهم التي لا تُقارن بهمومها وهي التي خففت عنهم وهي التي أشاعت جو المرح عليهم أثناء حديثهم، فكل واحدة منهم في خاطرها تُقرر عدم تكرار ما بدر منها في اليوم السابق وما يجلسون معها إلا ويتكرر ما حدث وهم لا يعرفون السبب في منع أنفسهم عن هذا الذي لا يُرضيهم فعله تجاهها.

وبعد ما اطمئنت عليه استأثر بها ذهنها، جعلها تستلقي بجسدها مسترخية على فراشها ليُذكرها بحديث والدتها عبر الهاتف الجوال الذي قد نجحت أحداث

اليوم في تجاوزه أعاده عليها فشعرت بالغضب يشتعل في داخلها وصدى كلماتها المُغلفة بسكاكين حادة تحفر في صدرها وخاصة وهي تتحدث عن زوجها بكل جرأة، ناسية شعور ابنتها التي تعرف بنزوع الرحمة من قلبها الواضح فيما فعلته مع أبيها وتركها لهم، ولكن لم تعرف بنزوع الحياء إلى ذلك الحد المُخزي في التحدث عن زوجها.

دنيا...

أعطيني كوب من الماء...

هذه الكلمات جعلتها تنتبه مُنتزعة نفسها من شرودها مُلبية طلبه ثم لم ترجع لغُرفتها ولكنها فضَّلت الجلوس معه هربًا من ذلك الذي يجول في خاطرها، ويُعكر صفوها فجلست معه تتحاور في حديث تصنعته كعادتها لتُخفف عنه آلام مرضه وتختلس له الوقت وتهرب من شرودها الذي يُريد أن يستأثر بها، تُحدثه عن السياسة تارة عن أخبار الفن تارة أخرى وتمزح معه بخصوص خلافات أرائهم السياسية إلى أن يمتد بينهم الحوار ليصل إلى أخبار رياضة كرة القدم وهي تسمعه حين يتحدث فيها بأذن صاغية واكتراث يبدو على وجهها برغم عدم ميولها لرياضة كرة القدم، جلوسها معه لم يكن مصدرًا لفتح نوافذ حزن لها أبدًا فنفسه تفيض بالتسامح الداخلي لكل ما يحدُث حوله فبرغم ما حدث من زوجته إلا أنه لم يتحدث في هذا الأمر لابنته ولا يسألها عن ما كانت والدتها تتصل بها أم لا فمنذ انفصالها عنه وهو لم يأتِ بسيرتها وإن كان يسُر في نفسه الذي لا يعلمه عنه أحد.

فإن لم يترُك لها العنان لتُدير هي الحوار يمزح معها بروحه التي تُغلفها براءة الأطفال حان ميعاد الحُقنة فأعطتها له ثم شرعت في عمل العشاء ليتناولوا معًا ثم

يُكملا باقي جُرعات العلاج المعهود بها، بدا على وجهه النُعاس أغلقت له المصباح وسحبت عليه الغطاء طابعة قبلتها على جبينه دلفت غُرفتها بعد أن توضأت لتُصلي العشاء وتقرأ في بعض كُتبها وتنام وما إن وضعت رأسها على الوسادة إلا وغشيها النوم فتغوص في نوم عميق لا تفيق منه إلا في الساعة الحادية عشر صباحًا فتوقظ أباه ثم تُصلي وتُعطي له البرشام الذي يتناوله على الريق، ثم تشرع في إعداد الفطار ليجلسا على منضدة صغيرة على الجانب الأيسرمن الصالة التي يتوسط حائطها تلفاز تقوم بتشغيله من الصباح على إذاعة القرآن بالصوت الذي يُفضله أباه فيستمعوا لصوت الشيخ عبدالباسط عبد الصمد أثناء الفطار ثم تُقدم له الشاي وترتشف أيضًا كوبها من الشاي، وتقوم بتنظيف غرفة أبيها وتفتح النافذة للتوغل الشمس داخل الحجرة وهكذا حجرتها.

ناظرة دائمًا للساعة التي تتوسط الحائط الأيمن من الصالة المقابلة للممر العابر لغرفتها وغرفة والدها لتُخبرها بموعد العلاج فتقطع عملها بإعطاء والدها العلاج ثم تُكمل وما إن أنهت عمل البيت وجلست بجوار أبيها، إذا به يقول لها ما رأيك يا دنيا نخرج أنا وأنتِ لنرى الدنيا، نحن ما نبيت عليه نُصبح عليه لا جديد في حياتنا يا ابنتي، أحست أن لسانها لُجم ولم تعرف كيف ترد عليه أطالت التفكير لعدم رغبتها في رفض طلبه وعدم رغبتها أيضًا في قبول طلبه فمنذ أخر خروجه لها باصطحابه وهي قررت عدم الخروج والقنوط في البيت والاكتفاء بإخراجه يوم في الأسبوع للجلوس أمام البيت لترفع عنه الملل ولا يُعرضان نفسهم للحرج وإثاره الشفقة من الآخرين عليهم.

إنها لا تُتقن إسناده بجانب العكازالذي يتكأ عليه بيده اليسرى بسبب الشلل الذي يحتل الجزء الأيمن منه فلا يجعله يُحرك ساكن فيه وقد سقط من بين يديها في أخر مرة منذ شهرين أثناء إسنادها له في إحدى الطرق تلبية لرغبته في الخروج في ذلك اليوم، و بعد تفكير طال بها وافقت على مضض، تشاورت معه في أي مكان يود الذهاب إليه أعرب عن رغبته في الذهاب للحديقة التي يرتاح لها، وافقت بكل اهتمام ومن داخلها قلقة وتدعو الله أن يقضي لها هذا المشوار الشاق عليها مسئوليته، و بعد آذان العشاء ساعدته في ارتداء ملابسه ثم أحضرت البرفان الخاص به من دولابه لتُعطر ملابسه نظرت لعينيه التي تغزوها الفرحة مثل الطفل الصغير الذي يفرح حين يعلم بموعد الخروج فزادها ذلك الشعور تأكيد على حُسن تصرُفها بموافقتها على الخروج.

خرجا فرحين رغم ما يجيش بصدرها من منازعة القلق والخوف من المجهول، ولكنها فرحة بإسعاده أوقفت تاكسي، وصلا للحديقة وعيناه تتجولان داخل المكان للبحث عن مكان غير مُكتظ أقرب إلى باب الدخول وفقت في اختيار مكان يقرب إلى الباب بمترين فقط، والأقرب للسماح للجلوس فيه بعيدًا عن زحام الدخول التي قد تعوق راحتهم فأوصلته بالكاد، وأجلسته على الكرسي وجلست هي تأخذ نفس عميق وضربات قلبها في اهتزاز أشار للنادل مُناديًا له ليطلب لها مياه، رأته يفعل ذلك حاولت خفض صوت تنفسها ورسمت الابتسامة على وجهها لتنفي له ما أدركه من حالها، أحضر النادل المياه لها طلبت له عصير الرمان المُفضل لديه وطلبت لها قهوة.

عادت مُبتسمة له وفي ذهنها محاولة لاصتناع حديث يدور بينهم قائلة له: أبي إنك لم تُحدثني عن طفولتك تبسم وجهه ابتسامة لم ينفرج لها فمه وقال لها كنت أُحب اللعب مع خالي.

اندهشت عاقدة حاجبيها فهي كانت منتظرة غير ذلك هي حقًا لم ترى جدتها ولا جدها ولكن المنطق يقتضي بوجودهما، وربما يقتضي أيضًا بتربيتهم له حتى في فترة طفولته، ولكنها صُدمت بمعرفتها لأول مرة أنه يتيم الأب منذ حمل أمه فيه فتوفى والده وهو عمر ثلاث شهور في رحم أمه الشابة التي لم تتجاوز عقدها الثاني فما أن وضعته وأرضعته حول فقط حتى أخذته منها والدتها لتُكمل رعايته هي وابنها المتزوج ولديه من الأبناء ثلاث فيرعاه بجانبهم لتتزوج هي من رجل يكبرها بعقدين وتترك بلدتهم لتعيش معه في بلدة أخرى تبعد عنهم مئات الأميال، ومن عادات هذه البلدة أن لا تأتي لزيارة بيت أبيها إلا كل سنة

وقت زيارتها يأتي أقاربنا للسلام عليها ويُعرفوني عليها ويقولوا إنها أمي فكنت أُسلم عليها وأرجع أرتمي في حضن خالي الذي كان يقوم بمهام أمي، وأنا لم أعرف أنها ليست فروض عليه ولكن رحمة قلبه بي هي التي جعلته يفرض ذلك على نفسه في مُعاملتي وأنا لا أعرف شيء في هذه الفترة إلا أني أحبه فقط، ولكن حينما بلغت السابعة من عمري إن كانت في وقتنا هذا يعتبرونها سن طفولي إلا وأدركت كل شيء حينها وفهمت معروف ما فعله خالي بي بعدها بسنتين توفى خالي وحق في معروف ما فعله معي.

كنت في التاسعة من عمري ذهبت لمصنع غزل ونسيج عملت فيه كنت أخرج من السادسة صباحًا وأرجع التاسعة مساءً أحمل أجر يومي أُعطيه لجدتي

لتصرف على ولاد خالي، أطلت عليكِ يا ابنتي طلبت أن أُحدثك عن طفولتي حدثتك عن طفولتي وشبابي، قطعت هذه الكلمة رتابة ملامحها وأنطقتها من صمتها فعقدت حاجبيها مرُدفه شبابك؟

أسترسل نعم؛ شبابي حين حدثتك عن التاسعة من عمري ابتسمت ابتسامة يملؤها أسى ونظرت في عينيه البريئة شاردة وتعلل في نفسها سبب برائته وطفولته وهو في هذا السن الكبير وسبب لهفتها عليه التي لم تعرف لها سبب فهي تعرف أن كل الفتيات يحببن أبائهم ولكن تجد في داخلها شيء غريب تجاهه يُشعرها دائمًا بأنه هو المسئول منها وليست هي المسئولة منه، انتشلت نفسها من هذا الشرود وعدم رغبتها في أن يُلاحظ حزنها عليه بالنظر في ساعتها قائلة له ما رأيك نبيت هنا في الحديقة؟

أردف مُتعجبًا ماذا تقولين؟

يا أبي قد انتصف الليل واستغرقنا شبابك الساعة الثانية صباحًا...

لم أشعر بمرور الوقت يا ابنتي!!

يبدو أن الليل هو الذي استغرق ذاكرتي...

أوقفته ساندة له، وأمسكت العكاز في شماله وأدارت زراعها بسرعة لتتحكم في يمينه لتعبر به لباب الحديقة، وإذا به يسقط على وجهه وتنهار دُنيا بالصراخ مائلة عليه لتُعيد اتزانه من جديد.

خطوات مسرعة من خلفها أقبلت عليه لإيقافه من جديد إذا بشاب متوسط الطول ذو بشرة بيضاء وشعر أشقر ولحية شقراء وعينان رُماديتان يُعيد اتزانه وينتشله من على الأرض واقفًا بين يديه، وبعد ما شدَّ بأزر والدها ونفض ما نال

بملابسه من تراب وهدأ من روعها عليه بطمأنتها إنه على مايرام، وهي في حالة ارتباك وإحراج شديد من مُساعدة ذلك الشاب لهم ومن عدم مقدرتها على إعانة أبيها بعد سقوطه وحدها.

تُعاني من شيء أصابك؟ أنقلك للمشفى؟

نظر له الأب حامدًا ربه: لاشيء يا ابني لحق بي أنا بخير.

شكرًا على مساعدتك يا ابني حفظك الله.

تسبح في عين الشاب نظرات لهفة خوف لذعرقلب الفتاة على والدها سائلًا: وأين ولدك يا عمي.

نظر إلى ابنته قائلًا: ليس لديَّ غيرها.

فاستدارت عينه ناحيتها ليرى دنيا التي لأول مرة يرتجف قلبها لصوت شاب فنظرت إليه نظرة واحدة في حين نظرته إليها...

ربنا يباركلك فيها...

عرض عليهم توصيلهم بسيارته التي قد ركنها جانب الطريق لمساعدتهم، ولكنها رفضت بخجل شديد، مما جعل أبيها يُصر على موقفه فساعدهم بإيقاف تاكسي مُسندًا والدها معها للدخول فيه وأودعهم ورحل والأب داعيًا له بالتوفيق في حياته، وما إن وصلا البيت فأوصلته لغرفته ليسترح جسمه وينام بعد اطمئنانها عليه.

دلفت غرفتها وأبدلت ملابسها بالكاد من الإرهاق الذي لحق بها من تلك الليلة التي كانت تحمل همها استلقت بجسدها على فراشها لتستغرق في نوم عميق نتيجه إرهاقها ولكنها لم تستطع النوم وظلت حتى بث الصبح طلائعه لم يغمض

جفنها وتعاني من الأرهاق ولا تعرف كيف تنام لتسترح منه فقد جافاها النوم في تلك الليلة.

نهضت من فراشها في التاسعة صباحًا وهي لم تنم فدخلت غرفة أبيها لتطمئن عليه.

فما إن نظر إليها وهي توقظه من نومه إلا وشعر بعلامات الإرهاق محفورة على ملامحها فقال لها: **ما بكِ يا دنيا، تُعاني من شيء أراكِ تعبة ولست بنشاطك ككل صباح.**

أنكرت عليه ملاحظته هذه وأبدت أنها بخير وتريد أن تطمئن عليه..

أنا بخير لا تقلقي بشأن ما حدث ليلة أمس فهي كانت ممتعة وشعرت بتأثيرها على نفسيتي لولا الحدث الأخير الذي أربككِ وعكر صفو روحك بقلقك وصراخك عليَّ.

فقالت بصوتها المرهق: لا تُبالي يا أبي ونحمد الله على أنك بخير وعُدنا لبيتنا سالمين.

الحمد لله يا بنيتي.

تشعر بشيء ما يغزو قلبها تجاه أمر غريب عليها واختل الوقت معها طيلة النهار ما بين الاستلقاء على الفراش والجلوس مع والدها بشرود عقلها الذي لاحظه من الصباح فانقلب حالها عن المعتاد.

حتى حضر أصدقائها وأدخلتهم غرفتها واطمئنوا عليها..

ما بكِ يادنيا يبدو على جفونك إرهاق ربما من عطش النوم، ما الذي يقلقك؟؟

لم تعرف ما بها لترد على سؤالهم فهذا أمر جديد عليها أن لا تعرف النوم فبمجرد وضع رأسها على الوسادة كان يغمرها النوم وخاصة بعد إرهاق، لم تجد ما تُعبر به عن حالها غير قولها أُعاني من صداع مزمن، نصحوها بأخذ مسكن للحد من آلامه قلقين عليها ومتعجبين من حالها معهم فلم تتحدث كعادتها رغم ما كانت تفعله حتى وإن كانت تعبة من طلبات البيت أو رعايتها لأبيها، حالها تبدل تتحدث معهم بلسانها فقط وعيناها تفضح عدم اكتراثها بمن حولها وأن داخل ذهنها أفكار تتجول فيها بعقلها وقلبها، رحل أصدقائها بعد ساعه قضوها معها وهي على حالتها تاركين رسالتهم لها بأمالهم في تغير حالها غدًا ويرجون منها الحصول على الراحة.

أوصلتهم لباب الشقة وعادت لغرفة أبيها تطمئن عليه وتُحضر له العشاء ليأخذ الدواء فهي تطمئن عليه حتى ينام، وتلجأ لغرفتها لتنام ولكنها لم تستطع النوم، ومر أسبوع وهي على حالها فلم تعد تعرف النوم ويُعافر جسدها للحصول على بضع ساعات ليستريح بصراع مع عقلها وقلبها الذين أصبحا يؤرقانها ويجعلانها لا تعرف النوم، ولا يعرف أباها ولا صديقاتها السبب في ذلك وهي تدعي أنها لا تعرف ربما يكون إرهاق.

ولكن طال بها الحال ومرت الأيام تلو الأيام وهي على هذا الحال ففي إحدى الليالي التي لم يمس النوم فيها مُقلتيها وهي قلقه كعادتها، قررت التحدث مع نفسها ومواجهتها بعد ما احتارت في أمرها وفيمن يفكر ويرهقها هل هو عقلها الذي لا يكف عن التفكير فيه واستحضار طرق البحث عنه، أم هو قلبها الذي زاد نبضه، نهضت من فراشها فاتحة درج مكتبها لتُخرج مُدونتها الصغيرة وقلمها

وتعود لفراشها عادلة الوسادة لتتكئ عليها بظهرها وتُسجل بها ما في خاطرها لتُخرج ما في جعبتها رغبةً منها أن تهدأ وتنام.

فتركت يدها العنان لقلمها ليسطرما في نفسها فنبض قلمها بكلمات عبرت عن الإرهاق الذي يعتريها كما كتبت، احترت يا نفسي فيمن أفكر؟! في ذلك الغائب عني ويُرهقني؟! ولم أعد أعرف هل سبب الإرهاق المستمر نابع من عقلي أم قلبي؟! فلو كان من عقلي فالأمر سهل فسوف أناقشه فيه وأقنعه بالمنطق أن هذا الذي يفكر فيه لا يصح فكيف ينشغل ويفكر بشخص رأته عيني مرة واحدة ولم تراه بعد ذلك؟! وسمعت صوته أيضًا مرة واحدة لا يُعقل أن ينشغل بهذا الأمر!! هل هو في حالة فراغ ليبحث عن أمر كهذا ليُرهقني به فها أنا سوف أشغل عقلي بالقراءة التي أهواها... أم أنه قلبي الذي يتلهف عليه ويوقظ عقلي من النوم ويؤرقه؟

لو كان قلبي فأنا أعجز أمام إقناعه بشيء غير الذي يريده فمجرد تفكيره إيمان وتصديق ولا يقبل مني منطق ولا أدلة فما عليَّ إلا أن أواسيه فيما وقع فيه ولكني أحس إحساس غريب أن الإثنان اجتمعا عليّ وأقاما الحرب التي لم أخوضها من قبل وكنت أعتقد أنني المُتحكمة فيهم فما كان قلبي بقلبي ليهبط وأين كان عقلي فما كنت قاطعة أمرًا إلا به فكيف حضر هو في ذلك الأمر؟ أكان العقل غافلًا أم أنا التي استيقظ قلبي لا أعلم ولست أعلم أيضًا من يُقلقني من نومي هل هو قلبي الذي استيقظ فلم يعرف الراحي من بعد فهذا الغريب الذي عشقته نفسي لم أعرف له طريق ولم أعرف من أين أتى؟ ولم أراه منذ هذه اللحظه

التي قلبت حياتي رأسًا على عقب، لا أعرف حتى اسمه وهذا ما يجعل المنطق يحاربني فبت لا أعرف سر وجوده في حياتي لأني أعلم أن منه حكمة بالغه.

فمن هو ليستحضره ذهني كل هذا الوقت بدون رؤياه ويحبه قلبي ويدعو له في صلاتي، فهل هو من أحبني منذ تلك اللحظه وحين رأت عيني الحب في عينيه أحببته أنا أم هو شبح ظهر لي واختفى فكان نصيبي أن أبحث عنه ولم أجده، وكل هذا الحب المُشتعل في صدري لم يكن لي معين فيه غير ربي الذي يعلم بما أضمره في قلبي له وما يضُج في عقلي لمن لم تراه عيني غير مرة واحدة، فلم أحدث عنه أحد من البشر فكيف أقول عن حبي له؟؟

أحببت من لم أعرف اسمه؟! ولا أعرف من أين أتى؟! ولا عنوانه؟! فمن المتوقع أن يصفوني بالجنون وإن كانوا صديقاتي فاحتفظت بحبه داخلي وهم يرون آثاره من إرهاق يحتل وجهي وحيرة تسكن عيناي، فصارت حياتي أيام أعاني فيها من لهفة ووجع قلبي ويوقد عقلي نار قلبي بتشويقي ليوم أراه فيه، وصرت أتحسر على حالي وأقول ياليتني لم أسمع صوته يرن كالأجراس على قلبي فيوقظه من نومه ويجعلني أتذكره كل حين فأنا حقًا أشتاق لسماع صوته الذي سُجل في خاطري، وكف نبض القلم راكضًا وسط مدونتها عله تحسر على حالها مما صرحت به داخل مدونتها فأغلقتها واضعة إياه بجانبها.

شعرت بصداع لم يدركها لتصل لمكتبها تضع المدونه وتغلق المصباح فاكتفت بوضعها بجانبها ساحبة الوسادة تحت رأسها تم تململت قليلاً في مضجعها إلى أن وضعت وجهها على الوسادة لتنام وكان هذا في الرابعة صباحًا، استيقظت في السابعة صباحًا ظلت مستلقية على فراشها منتظرة الساعة التاسعة

لتوقظ أباها وهي تقول في نفسها ما بي حيله تمر بي الأيام تلو الأيام وأنا على هذا الحال، ولم أعثر على أي معلومة تُقربني لهذا الشخص وكيف أعثر وأنا حتى لم أعرف أي معلومة تُساعدني في البحث عنه أو السؤال عليه ربما حتى لو ذُكر أمامي لن أعرف أنه هو.

وتذكرت الحوار الدائر بين صديقاتها في الليلة السابقة والدهشة التي أصابتها حين سألت شهد صديقتها فاتن عن الشاب الذي أعجبت به وتقول أنها أعجبت ولم تعترف بحبها، لم يستطع أحد معرفة حقيقة شعورها وكانت شهد تُضايقها بقولها ما الداعي لتخفي حبك يا فاتن فردت عليها في تضجر كيف أخفي وأنا من حدثتكم عن الأمر برمته؟ قطعت دنيا شجارهما بقولها مازحة ولكن أنا لم أعرف عنه شيء حدثيني حتى عن مواصفاته ولا أحد منهم يعرف المغزى من طلب دنيا هذا فسؤالها بظاهره يبدو عادي ولكنه ذو مغزى لها فهي لم تعرف عن من أحبته غير مواصفاته.

بدأ الخجل يظهر على وجه فاتن وهي تصفه وكأنه أمامها فلم تنظر إليهم وهم لم ينظروا إلا إليها وكان هذا في صالح دنيا التي وقع وصف ذلك الشاب عليها بدهشة كادت أن تُعبر عنها بكلماتها التي تريد أن تخرج من فمها قائلة كأنه هو، ولكن أنقذها إدراكها بإخفاء أمرها عن صديقاتها بعدم خروج هذه الكلمات ولكن خانتها عينها التي حدقت في فاتن أثناء سمعها لمواصفاته وما أن أنهت فاتن حتى سألتها دنيا بفضول يملئ نفسها ولكن لم يُدركه أحد منهم ما اسمه يا فاتن؟

وفي ذات الوقت ردت على نفسها بداخلها مالك أيتها البلهاء تسأليها عن اسمه بماذا يفيد أصبحت بسؤالك مثل الذي يحرث في البحر فأجابتها فاتن اسمه

رائد فلم يُفيدها حقًا بشيء ولكن دافع الحيرة من الوصف الذي انطبق تمامًا مع الوصف الذي في داخلها عن ذلك الشخص جعلها تسأل وزادها حيرة وقلق واتسع نطاق التفكير داخلها؛ ليلتئم مساحات واسعة بعقلها بدلًا من الرغبة في معرفة الشخص أو مقابلته مرة أخرى إلى الامتزاج بالقلق والخوف من أن يكون هو ذات الشخص الذي تحبه صديقتها!!!

وما إن دقت الساعة التاسعة فقطعت تفكيرها الذي لا يكف بنهوضها لتوقظ أبيها كعادتها وتطمئن على حاله وتُعطيه العلاج ومن ثم تشرع في تحضير الفطار فأنهته وجلس معًا ليفطرا والابتسامة مرتسمة مضيئة على وجهه مثل الطفل البريء فأخذت تمزح معه.

قائلة "الله على جمال وجهك يا أبي" مثل القمر في ليلة الكمال.

غريب أنت يا أبي الناس تكبر في السن وأنت تصغر.

فضحك حتى كشفت أسنانه بأكملها وتركته والحبور يملئ وجهه قائلة له: سوف أحضر لك كوب من الشاي تستمتع بمذاقه قال لها **لا أريد يا دنيا**.

ردت عليه: لن أتأخر في إحضاره ثواني وأقول لك تفضل يا فندم فضحك وضحكت هي وتركته ودلفت إلى المطبخ فأحضرت الشاي والقهوة لها.

وما إن أقبلت من الممر وفي يديها ما أحضرته حتى رمقتها عيناه فسقط ما تحمله وخرج الصراخ من فمها يضج المكان، وقد وصل صداه للبيت المقابل لبيتها فأقبل الجيران على البيت اقتحاما بدون استئذان ليروا مشهد يُمزق قلوبهم فهذه الإبنة الرحيمة تضم أباها لصدرها وهو لا يُحرك ساكن ولا يفتح جفن فأسرعوا لإحضار الطبيب، وإذا بالطبيب يؤكد لهم ما يسرون في نفسهم منذ

رؤيتهم له فقد علمو أنه قد حل به أصدق المواعيد ولكن لم يريدوا إخبار ابنته بهذا إلا في حضور الطبيب وفي قوله لها البقاء لله.

حضنت أباها حضن جعل دموعهم تذرف بسخاء وهي لم تدمع عيناها فقد وقف فيها الدمع تاركًا قلبها ينزف حسرةً عليه وصارت في حالة انهيار، قائلة له: إلى من تتركني؟؟

فكانت وقع كلماتها هذه على جيرانها كخنجر يُمزق قلوبهم واستعان الجيران بجيرانهم الآخرين وأحضروا طلبات الغُسل.

أدخلوها عليه لتودعه فطبعت على جبينه قُبلتها التي كانت تطبعها كل مساء وهو مُقبل على النوم ولكنها اليوم تطبعها بلهفه واضعة يدها على قلبها الذي كاد أن يخرج من بين ضلوعها ليُقبله معها فهو من كان يسكب عليه من الحنان ما أكفاه طيلة حياته معها.

أراد جارها أن ينتشلها من ألم ذلك الوداع المرير بإعطائها مصحف مردفًا لها اقرأي يا ابنتي، ضغطت بيدها على قلبها وكأن لسان حالها يقول له اصبر وتماسك هذا أمر ربي ماسكة المصحف بين يديها وتقرأ له ثم ذهبت للصلاة عليه بصُحبه جيرانها وقد انتهت مراسم الدفن، عادت إلى بيتها يصحبها جيرانها الذين تقطعت قلوبهم عليها وأصدقائها لم تسعفها قدميها لتصل للسرير فأسندها صديقاتها، وإذا بها تنام وهم جالسون حولها حتى قلقوا على أمرها فحاولوا إيقاظها ولكنها لم تفق فأصابهم الفزع ولكن طمأنتهم إحدى الجيران بأنه يوجد نبض في يدها فحملوها مُسرعين للمشفى.

opeikan.com

وعُرضت على الطبيب ولكنه أعرب عن عدم قدرته على مساعدتها بعد اطلاعه على حالتها وصرح بنقلها لطبيب نفسي، وإذا بهم يحملونها لغرفة الطبيب النفسي الذي ما إن نظر لها حتى تجمدت عيناه عليها وارتسم الارتباك على وجهه، فأقبل عليه جارها ليحكي له ما بها، ولكنه فوجيء برد الطبيب النفسي عليه يسبقه قائلًا أمات والدها؟؟

فأجابه مُندهشًا نعم قد مات والدها وقد أصابها هذا بعد الانتهاء من مراسم الدفن فهي مسكينة تعيش معه في البيت وحدها وليس لهم ونيس غير بعضهم، فكان يسمع الطبيب بغير اكتراث يفضحه عدم تركيز وجهه الذي لم يتحرك من عليها منذ دخولها وكأنه يعلم ما يقوله جارها عنها، وإن كان حقًا يعلم فهو من قابلها من قبل عند باب الحديقة وسأل أبيها عن ابن له وأجابه بأنه ليس لديه سوى دنيا والتي لم يراها منذ هذه اللحظة التي كان قد رتبها القدر له في الطريق أثناء عودته من المشفى.

فبدأ بعمل الإسعافات الأولية في الطب النفسي لإفاقتها ونجح في ذلك من صحوة الموت، ناظرة إليه غير مُدركه لما يحدث؟ وما الذي أتى بها إلى هنا وهل هي تحلم؟ فالذي يقف أمام عينيها يؤكد وهمها، كيف رأت هذا الشخص؟ وحقًا هل هو أم تحلم؟!

ظلت ناظرة إليه غير نابسة ببنت شفة وغير مُدركة، إلى أن أسعفتها ذاكرتها التي كانت مُعطلة بسبب الفاجعة التي أصابتها، ها هو ذاك الشخص يا دنيا الذي سكن قلبك منذ رؤياكِ له ولم تجدي حيلة لرؤياه فها هو القدر قد شاء لكِ أن تريه، حتى قال لها أنا حاسس بيكِ، فبوقع الكلمات على مسامعها أجهشت عيناها

بالبكاء وبدأ يعلو صوت نفسها واضطربت نبضات قلبها حين سمعت الصوت الذي أثار الرجفة في داخلها من قبل، فما كان له حيلة إلا أن يحضنها بعينيه التي أحاطتها بدفئ في تلك العاصفه التي كادت أن تُفتت قلبها.

وما إن التفتَ لجارها حتى أصابه الخجل من لهفته عليها الذي فضحه تركيزه الملحوظ وهو يُعلن عن ما قد يُضمره في قلبه تجاهها فلهفته عليها ليست كلهفة طبيب مع حالة عادية قد يتعرض لها بشكل مستمر، ولكن قد أنقذه ذكائه بالخروج من خجله ولم يكن ذكاء فقط وحسن خلقه أيضًا الذي دفعه ليتحدث مع جارها، قائلا له: أعلم أنك تتعجب من أسلوبي مع حالة دنيا.

رد عليه: نعم يا دكتور وحاسس كأنك تعرفها من قبل ونحن لا نعرف أحد يقرُب لها.

رد عليه قائلًا: أنا حقًا أعرفها قبل موت أبيها بفترة بسيطة فقد تقدمت إليها لأطلب يدها للزواج ولكن المرحوم والدها قال لي اتركنا مهلة لنفكر في الأمر وها هي هذه المهلة التي في حينها وافته المنية.

فقطع استرساله صوت جارها وهو يقول: لا عليك تقدم ثانيةً لخطبتها مني أنا مثل والدها.

تبسم الطبيب مُمتننًا له لتفهمه الموقف وإشفاقه على دنيا التي يظهر على عينيها فرحتها أثناء سماعه وفرحته حينما عرف شأن معرفته بدنيا ووالدها، رد عليه سوف نُعيد النظر في الأمر بعد الانتهاء من شفاء دنيا والاطمئنان عليها والتأكد من استعدادها إعطاء قرار في هذا الأمر، فدعا له ولها ربنا يحفظك ويفرحنا بشفاء دنيا ونفرح بيكو بإذن الله.

فبفطن عقله هذا قد أخرج نفسه من دائرة الحرج التي قد يتعرض لها طيلة فترة العلاج فلهفته عليها كانت أكبر من أن يداريها وإن كان قد أخفى بعضها وقد أزال أي شائبة أو سوء ظن قد تُصيب دنيا.

و بقراره هذا أيضًا الذي قد تم أخذه فور الحديث مع جارها برغبته في زواجها واصطناعه قصة تقدمه لها من قبل قد أمَّن لدنيا حياتها التي تكون تحت رعايته دائمًا.

فها هو القدر حينما يأتي قد يظن البعض أنه يتأخر ولكن القدر مُقدر أي لا يتأخر عن ميعاده الذي يخضع للحسابات الإلهية المُسيرة للكون فمهما عصفت بحياتها من كروب ومرت بها من أزمات إلا أن القدر ينتظر موعده ولا ينساه، هو فقط ينتظر الإذن من صاحبه الذي يعلم الوقت الأنسب لحضوره فمهما مرت بها من جراح سابقه وكروب وصدمات لا تتساوى مع هذه الفاجعة التي حلت عليها بموت أبيها الونيس الأوحد لها والذي قد صاحبها عمرها الماضي.

فهذه هي رحمه الله حينما تأتي المصائب، وهذه هي الحكمة بلطفه وها هو الذي كانت تبحث عنه ووضعه الله في قلبها منذ ذلك الحين.

نعمة بحمد الله

obeikan.com